الصورة الفنية في شعر كل من أحمد شوقي ومحمد محمد الشهاوي للطفل

مقدمة:

قد اختلف النقاد في وضع تعريف جامع مانع للصورة الفنية؛ حيث إنها من المصطلحات الحديثة الوافدة على نقدنا العربي " الصورة الفنية مصطلح حديث صيغ تحت وطأة التأثير بمصطلحات النقد الغربي، والاجتهاد في ترجمتها".[١]

وعلى الرغم من حداثة مصطلح الصورة الفنية، إلا أن المشكلات التي يعالجها المصطلح الحديث، هي ذاتها التي عالجها تراثنا البلاغي والنقدي القديم " قد لا نجد المصطلح بهذه الصياغة الحديثة في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، ولكن المشاكل والقضايا التي يثيرها المصطلح الحديث، ويطرحها موجودة في التراث وإن اختلفت طريقة العرض والتناول، أو تميزت جوانب التركيز، ودرجات الاهتمام".[٢]

وتُعرف الصورة الفنية " طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجهة من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني، من خصوصية وتأثير، ولكن أيًا كانت هذه الخصوصية، أو ذلك التأثير فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه وتأثيره في المتلقي".[٣]

وبهذا فإن الصورة الفنية هي قدرة المبدع على تحويل الكلمات بطريقته الخاصة إلى صور مرئية ومتحركة، يستطيع المتلقي تخيلها بنفس الشكل الذي وضعها به المبدع.

وتُعرف الصورة الفنية أيضًا " الصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية، وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية".[٤]

ويعد تعريف عبد القادر القط للصورة الفنية هو التعريف الأشمل والأوسع فقد عرفها بـ " هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدمًا طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة، والتركيب، والإيقاع، والحقيقة، والمجاز، والترادف، والتضاد، والمقابلة، والجناس وغيرها من وسائل التعبير الفني".[٥]

---

[١]- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢، ط٣، ص ٧.

[٢]- المرجع نفسه، ص ٧.

[٣]- المرجع نفسه، ص ٣٢٣.

[٤]- على البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٠م، ط١، ص ٣٠.

[٥]- عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٤٣٥.

بينما يشترط محمد غنيمي هلال في تعريفه للصورة الفنية ألا تكون عبارات وألفاظ الصورة مجازية وخيالية فحسب، فهو يرى أن العبارات الحقيقية تكون دقيقة التصوير، وإن لم تقم على إحدى الوسائل المجازية " إن الصورة لا تلتزم ضرورة أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازية، فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير، دالة على خيال خصب".[١]

ومما سبق يتضح أن الصورة لها وظيفة جمالية عالية المستوي في النص، ومن هنا جاءت ضرورة الوقوف على الصور الفنية التي جاء بها كل من شوقي والشهاوي في شعرهما للطفل.

أولًا: مصادر الصورة الفنية عند أحمد شوقي ومحمد الشهاوي في شعرهما للطفل:

١ـ التاريخ:

يؤثر التاريخ في نفسية الشاعر وتكوينه الوجداني بشكلٍ كبيرٍ؛ لذا لجأ كثيرُ من الشعراء إلى توظيفه في أشعارهم، وبخاصة هؤلاء الشعراء الذين يتوجهون بشعرهم إلى الطفل؛ فهـــم ادركوا أهمية استحضار التراث في تكوين شخصية الطفل وصقلها، وزيادة قدرته على مواجهة مشكلات حاضره، وصنع مستقبله بشكلٍ أفضلٍ.

وقد حرص شوقي على توظيف التاريخ في شعره للأطفال؛ ليشحذ همم الأطفال على التمرد لتغيير الواقع الأليم، وليذكرهم بعظمة أجدادهم، وحضاراتهم الباقية التي ابهرت العالم أجمع حتى يومنا هذا، ومن المعالم التاريخية التي تعبر عن عظمة الحضارة المصرية القديمة (الأهرامات) والتي تحتضن وادي النيل، فقد قال شوقي عنها في " نَشِيدُ مصْر":

لنا الهَرَمُ الذي صحِبَ الزمانـا ... ومن حَدَثانه أَخذ الأَمانـا[٢]

كما عرض للأطفال عظمـــة التاريخ الفرعوني وفضله على باقي الحضارات حيث عرض لهم كيف علم أجدادهم العالم بأسره معنى الرقي والحضارة؛ ليشبوا فخورين بتاريخ أجدادهم العظيم حين قال في النشيد ذاته:

ونحـنُ بنـو السَّـنا العـالي، نمانـا ... أوائـــلُ عَلّمـــوا الأَمَـــمَ الرُّقِيـــا
تطـــاوَلَ عهُـدهُمْ عِـزا وفخـرَا ... فلمـــا آل للتـــاريخِ ذُخْـــرا[٣]

كما قدم شوقي للأطفال سمة تاريخية، تميز بها الشعب المصري على مر العصور، هي الوحدة الوطنية، حين قال في " نَشِيدُ مصْر":

جعلنا مِصْرَ مِلَّةَ ذي الجَلالِ ... وَأَلَّفْنا الصليب على الهِلالِ[٤]

ولابد أن ننوه إلى أمر مهم أن هذا النشيد تحديدًا من روائع شوقي للكبار والصغار معًا وليس الصغار فحسب" وهذا النشيد لا يتوجه ببنيته ومضمونه إلى الأطفال فقط على نحو ما أثبته الشاعر بل يتوجه إلى سائر طوائف الشعب في فترة زمنية برز فيها الوعي القومي والإحساس الوطني عند المصريين أعقاب ثورة ١٩١٩م، وفي عام ١٩٢١م فاز نشيد "مصر" لأحمد شوقي بالجائزة الأولى في المسابقة القومية للأناشيد".[٥]

---

[١]- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٤٣٢.
[٢]- ديوان شوقي، ص ٢٥٥.
[٣]- ديوان شوقي، ص ٢٥٥.
[٤]- ديوان شوقي، ص ٢٥٥.
[٥]- أحمد زلط، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعتمان جلال، مرجع سابق، ص ١٣٧.

ومن الشخصيات التاريخية التي وظفها شوقي في شعره للطفل (نبي الله نوح عليه السلام- نبي الله سليمان عليه السلام- سقراط- بقراط – ابن سينا – كافور الإخشيدي- الرئيس)، وتعد حكاية " نَديمُ الْبَاذِنْجَانِ" من أكثر حكاياته التي احتوت على شخصيات تاريخية، والتي قال فيها:

فأكـل السـلطانُ منـه مـا أكَـلْ ... وقـال: هـذا فـي المـذاق كالعسَـلْ
قـال النـديمُ: صـدق السـلطانُ ... لا يسـتوي شُـهد وباذِنجـانُ
هـذا الـذي غَنـى بـه "الـرئيس" ... وقـال فيـه الشـعْرَ "جـالينوسُ"
يُـذهِبُ ألْـفَ عِلَّـةٍ وعِلَّـهْ ... ويُبـردُ الصَّـدْرَ، ويَشْـفي الغُلَّـهْ
قـال: ولكـنْ عنْـده مـراره ... ومـا حَمـدتُ مَـرةً آثـارَهْ
قـال: نعـم، مُـرٌّ، وهـذا عَيْبُـه ... مُـذْ كنـتُ يـا مـولايَ لا أحِبُّـه
هـذا الـذي مـات بـه "بُقـراطُ" ... وسُـمَّ فـي الكـأْسِ بـه " سُـقراطُ[1]"

يتضح أن قد استعان شوقي في تلك الحكاية بالشخصيات التالية: (الرئيس- جالينوس- بقراط- سقراط)؛ ليبين للأطفال فساد حاشية الملك ونفاقهم في أغلب الأحيان، فقد شبههم شوقي بالببغاء، فهم يرددون ما يقوله الحاكم فقط ولا يعارضوه حتى في أبسط الأمور، فحين مدح الحاكم الباذنجان، ومذاقه الحلو، أخذوا في مدحه أيضًا بل بالغوا في ذلك فقالوا عنه أنه هو الطعام الذي مدحه "ابن سينا"، وقال فيه هو شفاء لألف داء وعلة، ونظم فيه الشعر "جالينوس"، ثم تغير رأيهم هذا حين غير الملك رأيه فعندما اشتكى الحاكم من مرارته، كان ردهم جاهزًا بموافقة الحاكم في رأيه المخالف للرأي الأول، فاخذوا في ذمه، قائلين عنه أنه سبب موت "بقراط" وسُم به " سقراط"، فقد أراد شوقي من خلال تلك الحكاية أن يغرس في الأطفال الشجاعة والصدق والبعد عن النفاق والتملق الكاذب، وعلى الرغم أن القصيدة فيها إرهاصات سياسية يصعب على الطفل استيعابها بسهولة، إلا أن المعنى والقيم التي ترمي إليها القصيدة جليلة.

كما ضمن شوقي شخصية "كافور الإخشيدي" في قصائده للطفل، فظهرت تلك الشخصية في حكاية " حكَايَةُ الْخُفَّـاش وَمَليكَةُ الْفَرَاش":

مـرَّتْ علـى الخُفـاشِ ... مليكـةُ الفـراشِ
تطيـرُ بـالجموعِ ... سـعيًا إلـى الشـموعِ
فعطَفـتْ ومالـتْ ... واستضـحكَتْ فقالـتْ:
أَزْريْـتَ بـالغرامِ ... يـا عاشـق الظـلام
صِـفْ لـي الصـديقَ الأَسْـودَا ... الخامـلَ المُجَـرَّدا
قـال: سـألتِ فيـه ... أَصـدَقَ واصِـفيه
هـو الصـديقُ الـوافي ... الكامـلُ الأوصـافِ
جـوارهُ أَمـانُ ... وسـرُّه كتمـانُ
وطرفُـه كليـلُ ... إذا هفـا الخليـلُ
يحنـو علـى العشَّـاق ... يَسـمعُ للمشـتاق
وجملـةُ المقـالِ ... وهـو الحبيـبُ الغـالي
فقالـتِ الحمقـاءِ ... وقولُهـا اسـتِهزاءُ
أَيـن أَبـو المِسْـكِ الخَصِـي ... ذو الـثَّمَنِ المُسْـتَرْخَصِ[2]

فالبيت السابق أتى به شوقي للاستهزاء من شخصية كافور الإخشيدي (أبو المسك الخصي)، لينفر الأطفال من صفة الغرور فنهايته الحتمية الدمار.

[1]- ديوان شوقي، ص ٢٥٨.
[2]- ديوان شوقي، ص ٢٨٥.

وقد استعان الشهاوي بحقيقة تاريخية؛ ليعلم الأطفال ضرورة تقبل الغير، هي أن البشر كلهم يعودون لأب واحد هو نبي الله (أدم) عليه السلام، وأم واحدة هي (حواء) عليها السلام، فقد وقف متعجبًا من موقف البشر تجاه بعضهم البعض، ومن تلك الحروب والعداوات، التي دمرت العالم وحصدت الأرواح، فهو يريد أن يغرس في نفوس الأطفال الانتماء للإنسانية، ليشبوا محبين لبني جنسهم محترمين ذلك الاختلاف الطبيعي الذي فرضه الله على الأرض بل جعله سنة كونية لا تستقيم الحياة إلا بها؛ فالبشر جميعهم أخوة لا فرق بينهم على أساس العرق أو الدين أو اللون، وقد قدم هذا المبدأ الإنساني رفيع المستوى من خلال قصيدته " العودة المنتظرة":

كل الشعوبِ لـ " آدم" أبناء
وهمو جميعا أمهم "حواء"
ومن الترابِ نُشوؤنا ومجِيئنا
وغدا إليه يعود من قد جاءوا
فَعلاَمَ تَطْحَنُنَـــا المَعَارِكُ بَيْنَنَا؟
وإلى متى سيظل هذا الدَّاءُ؟[1]

ويحاول الشهاوي جاهدًا أن يربط الأطفال بتاريخ بلادهم العظيم، فيعرض لهم شخصيتين تاريخيتين، الأولى محبة للوطن (حوريس)، والثانية معادية للوطن (ست)، فيقول على لسان (حوريس) أنه الابن الوفي الذي جاء ليخلص وطنه الحبيب من العدو الخبيث (ست)، فيقول في قصيدته " الإخلاص والخلاص":

وأَنَا ابنه البر الوفي...
"حوريس"/ مبعوثُ العنايةِ
والصَّمُودِ العَبْقَرِيُّ
ومُخَلصُ الأكوانِ
من " ست" الرجيم ... ومن معه[2]

ومما سبق يتضح حرص الشاعرين على ربط الأطفال بتاريخ بلادهم؛ وهذا الهدف الأسمى قد نجح كل منهما في الوصـــــــول إليه، سواء بذكر معالم تاريخية، أو شخصيات تاريخية.

التراث الديني:

وقد ضمن شوقي في شعره للأطفال كثيرًا من الشخصيات المرتبطة بتراثنا الديني؛ لتكون تلك الشخصيات خير قدوة لهم، و كذلك ليربط الأطفال بدينهم وعقيدتهم، فتنمية الوعي الديني لدى الأطفال بات مطلبًا ملحًا في هذا العصر، وتأثر شوقي بالتراث الديني جاء على مستويين الأول مستوي اللغة، فقد قام بالتناص من القرآن الكريم في مواضع كثيرة، أما المستوى الثاني فهو مستوي المعنى أو الفكرة التي يقوم بطرحها، ومن تلك الشخصيات الدينية، شخصية نبي الله نوح عليه السلام، حيث استعان بها شوقي في نظم عدة حكايات على لسان الحيوان والطير منها " نُوح عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَالنَّمْلَةُ في السفِينَةِ" والتي قال فيها:

قـد وَدَّ نـوحُ أن يُباسِـطَ قَوْمَـهُ ... فـدعا إليـهِ معاشِـرَ الحيـوانِ
وأَشـار أَنْ يَلِـيِ السـفينةَ قائـدُ ... مـنهم يكـونُ مـن النهـي بمكـان
فتقَّـدمَ اللَّيـثُ الرفيـع جلالُـه ... وتعـرَّضَ الفيـلُ الفخـيمُ الشـان
وتلاهُمـا بـاقي السـباعِ، وكلهُـمُ ... خَـرُّوا لهيبتِـهِ إلـى الأَذقـان

[1]- محمد محمد الشهاوي، مجموعة " معًا نغني للأمل"، ص ١٨.
[2]- محمد محمد الشهاوي، مجموعة " معًا نغني للأمل"، ص ٢٥.

حتــى إذا حيُّــوا المؤيَّــدَ بالهــدى ... ودَعَــوْا بطــولِ العــز والإمكــان
سَــبَقَتْهمُ لخطــابِ نــوحٍ نملــة ... كانــت هنــاكَ بجانِــبِ الأَرْدان[1]

بلغة سهلة، وبلاغة عالية استطاع شوقي أن يجسد مشهدًا رائعًا، بطله نبي الله نوح عليه السلام والذي وصفه بـ (المؤيد بالهدى)، والحيوانات التي ركبت معه السفينة وهي تتصارع على الزعامة والقيادة، ثم يسلط شوقي الضوء على أضعف وأهون تلك الكائنات جميعًا، وهي النملة والتي شبهها بالإنسان في حبه للملك وفرض زعامته على كل المخلوقات، فقد قال شوقي على لسان تلك النملة:

قالــت: نبــيَّ اللــهِ، أَرضــي فــارسُ ... وأَنــا يَقينــا فــارسُ الميْــدانِ
ســأديرُ دِفتَهَــا، وأَحْمــي أَهَلهــا ... وأَقُودهــا فــي عصــمةٍ وأَمــان
ضــحِكَ النبــيُّ وقــال: إن سَـفينتَي ... لِهَــى الحيــاة، وأَنــتِ كالإنســان
كــل الفضــائِلِ والعظــائمِ عنــده ... هــو أَوَّلُ، والغيْــرُ فيهــا الثــاني[2]

وقد أتى شوقي بشخصية نبي الله نوح عليه السلام بشكل رائع في حكايته " الْقِرْدُ في السَّفِينَة" والتي يوضح من خلالها، كيف يُهلك الكذب صاحبه؟، واختار القرد ليكون بطلًا لتلك الحكاية، بينما كانت شخصية النبي نوح عليه السلام شخصية ثانوية، فلم يظهر سوى في لمحة واحدة في الحكاية حين قال شوقي:

لـم يَتَّفِـقْ ممـا جَـرَى فـي المركَـبِ ... ككَـذِبِ القـردِ علـى نـوحِ النبـي
فإنــه كــان بأَقصــى السَّــطحِ ... فاشــتاقَ مــن خِفتِــه للمَــزْحِ
وصــاحَ: يــا لَلطَّيْــر والأَســماكِ ... لِموْجَــةِ تجِــدُّ فــي هَلاكــي!
فبَعــثَ النبــي لــه النســورا ... فوجَدَتْــه لاهيًــا مســرورا[3]

واللافت للنظر أن شوقي أتى بالسفينة فقط كمسرح تقوم عليه عدة حكايات أخرى، دون أن يأتي بشخصية نبي الله نوح عليه السلام، فسفينة نوح عليه السلام ذاتها جزءًا من تراثنا الديني وقد ظهر ذلك في حكاية " الدُّبُّ في السَّفِينَة"، فشوقي جسد شخصية الدب المتهور الأحمق، وجعل من السفينة مسرحًا للأحداث، والطفل هنا يدري أن السفينة المقصودة سفينة نوح عليه السلام دون أي إشارة إليه، وتكمن روعة تلك الحكاية أيضًا في تجسيد شوقي لمشهد الطوفان وتلاطم الأمواج، فذلك المشهد الرائع مشهدًا حقيقيًا استوحاه شوقي من تراثنا الديني والذي قال فيه:

ثم رأَى مَوْجًا على بُعدٍ عَلا ... فظنَّ أَن في الفضاءِ جبلا[4]

فقد تأثر شوقي في نظم هذا البيت بالقرآن الكريم، فقد شبه الأمواج في ارتفاعها وقوتها بالجبال، وهو التشبيه ذاته الذي جاء به القرآن الكريم، فقد تأثر شوقي بقوله تعالى:

"وَهِيَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍۢ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ"[5]

كما تأثر أيضًا بالقرآن الكريم حين وصف جفاف الأرض وانحسار الماء، وانتهاء ذلك الطوفان بقوله:

وبعدَ ساعتَينِ غِيضَ الماءُ ... وأَقلَعَتْ بأَمْرِهِ السماءُ[6]

فهذا البيت تأثر فيه شوقي بقوله تعالي "

---

[1]- ديوان شوقي، ص ٣٠٤.
[2]- ديوان شوقي، ص ٣٠٤.
[3]- ديوان شوقي، ص ٣٠٣.
[4]- ديوان شوقي، ص ٣٠٥.
[5]- سورة هود، الأية ٤٢، ص ٢٢١.
[6]- ديوان شوقي، ص ٣٠٥.

"وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[١]

وظهرت السفينة في حكايات أخرى مثل حكاية " الثَّعْلَبُ وَ الأَرْنَبُ في السَّفِينَةَ"، وحكاية " اللَّيْثُ وَالذئْبُ في السَّفِينَة"، وحكاية "الأَرْنَبُ وَ بِنْتُ عِرْسٍ في السَّفِينَة"، وحكاية " الْحمَارُ في السَّفِينَة"، وحكاية "الثَّعْلَبُ في السَّفِينَة".

ومن الشخصيات التي استوحاها شوقي من تراثنا الديني شخصية نبي الله سليمان عليه السلام، ليوضح لأطفالنا أبعاد تلك الشخصية، وقدرة سيدنا سليمان عليه السلام على فهم لغة الطير والحيوان في حكاية " سُلَيْمَانُ عليه السَّلاَم وَالحَمَامَة" حين قال:

وأتـــت نَبـــيَّ اللـــهِ وهْـــــ ... ـــيَ تقـولُ: يـارَب السَّلامـــــةَ!
قالـــت: فَقَـــدْتُ الكُثْـــبَ يـــا ... مـــولاي فـــي أرض اليَمامـــه
... لِتَسَـــرُّعِي لمَّـــــا أَتـــا ... نـــي البـــازُ يـــدفعُني أمامـــه
فأَجـــابَ: بَـــل جِئـــتِ الـــذي ... كـــادت تقـــومُ لـــهُ القيامَـــــه
لكـــــنْ كفـــــاكِ عقوبـــــةً ... مـــن خـــانَ خانتـــهُ الكرامَـــه[٢]

وقد كنى شوقي عن شخصية سيدنا سليمان عليه السلام في تلك القصيدة بقوله ابن داود ليُعلم الأطفال بنسب سيدنا سليمان وأنه ابن سيدنا داود عليهما السلام، فقد اجرى شوقي بين الحمامة ونبي الله سليمان عليه السلام حوارًا يكشف للطفل من خلاله عن بعض المعجزات التي من الله بها على نبيه سليمان عليه السلام.

ومن الأوقات المرتبطة بتراثنا الديني شهر رمضان المُعظم بما فيه من عادات دينية كالسحور، والذي ضمنه شوقي في قصائده للطفل، في حكاية " ضِيافَةُ قِطَّة" والتي قال فيها:

لســـــتُ بنـــــاسٍ ليلـــــةَ ... مـــــن رَمَضَـــــانَ مَـــــرَّتِ
تطاوَلـــــتْ مثـــــلَ ليـــــا ... لـــــي القطْـــــبِ، واكفهـــــرَّتِ
إذِ انفلَـــــتُّ مـــــن سُـــــحو ... ري، فـــــدَخلتُ حُجرَتـــــي[٣]

كما تأثر الشهاوي بالتراث الديني وتحديدًا القرآن الكريم، فالشهاوي شاعر متصوف، وقد ظهر هذا التأثر واضحًا في قصيدته " عيش جديد" والتي قال فيها:

أُعيذكمو بربّ الناسْ

من الوسواس والخناسْ...

إذا ما كان من جن

وإن قد كان بعض الناسْ[٤]

فالأبيات السابقة تأثر فيها الشهاوي بقوله تعالي "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ(٦).[٥]

---

[١]- سورة هود، الأيه ٤٤، ص ٢٢١.
[٢]- ديوان شوقي، ص ٣١١.
[٣]- ديوان شوقي، ص ٢٦٠.
[٤]- محمد محمد الشهاوي، مجموعة " معًا نغني للوطن"، ص ١٥.
[٥]- سورة الناس، ص ٦٠٤.

واللافت أنه استعان في تناصه من القرآن الكريم بإحدى قصار السور؛ فتلك السور القصيرة يسهل على الطفل حفظها واستيعابها، وقد استعان بها في قصيدة أخرى من مجموعته " معًا نغني للسلام" تحت اسم " ضد الشر".

ومن الأماكن التي تعبر عن تراثنا الإسلامي (الأزهر الشريف) مصنع العلماء، لذا حرص الشهاوي على تضمينه في قصائده للطفل، حين قال في قصيدته " وَطني: أبي":

و" الأَزهرُ المعمورُ"

والشعبُ الذي قهرَ الطغاهْ[١]

ويستمر الشهاوي في تناصه وتأثره بالقرأن الكريم، فقد ظهر هذا مجددًا في قصيدته "حديث طائر الكروان" والتي قال فيها:

يـا مَنْ هو الْأَحَدُ الْأَحَدُ

والواحدُ الْفَرْدُ الصَّمَدْ

الْمُلْكُ لَكْ والأمْرُ لكْ[٢]

فقد تأثر في الأبيات السابقة بقوله تعالي في سورة الإخلاص " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ(٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد(٤)"[٣]

وفي هذه المرة أيضًا استعان بإحدى قصار السور (سورة الإخلاص)، فتلك السور تحديدًا يحفظها أغلب الأطفال؛ لسهولتها الشديدة.

ومن المظاهر الدينية التي حرص الشهاوي على تضمنها في شعره للأطفال الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في قصيدته " مَوْلِدُ النُّور" والتي قال فيها:

في يَوْمِ مَوْلِدِ " أَحْمَدَا"
غَنَّى الوُجُودُ وَغَرَّدَا
وَبَدَتْ تَبَاشِيرُ الهُدَى
في يَوْمِ مَوْلِدِهِ الْمَجِيدْ
شَمْسُ الوَضَاءَةِ وَالسُّعودْ
وَالبِشْرُ قَدْ عَمَّ الْمَدَى
يَا يَوْمَ مِيلادِ الحَبيبْ
ذِكْرَاكَ نُور لا يَغيبْ[٤]

ومن رموز الديني الكتب السماوية؛ لذا حرص الشهاوي على توضيحها للطفل، فذكرها مرتبة بترتيب نزولها (التوراة – الإنجيل – القرآن)، في قصيدته " قمر لا يخسف ... شمس لا تكسف" حين قال:

الْكِلْمَةُ

طَيْبَةُ

عَهْدُ لا يُخْلَف

صُحُف عُلْيَا، توراةُ، إنجيلُ، فرقانُ،

---

[١]- محمد محمد الشهاوي، "معًا نغني للوطن"، ص ٢١.
[٢]- محمد محمد الشهاوي، ديوان" طيور وزهور"، ص ٨.
[٣]- سورة الإخلاص، ص ٦٠٤.
[٤]- الشهاوي، مجموعة " معًا نغني للسلام"، ص ٤٣.

مُصْحَفْ[1]

ومما سبق نستنتج أن كل منهما قد استعان بالتراث الديني في شعره للطفل من خلال تضمين الشخصيات أو المناسبات أو الرموز الدينية بالإضافة إلى تناصهمـــا من القرآن الكريم، مما يكشف عن خلفيتهما الدينية الكبيرة وكذلك عن محاولتهما لترسيخ التراث الديني في نفوس النشء.

الحياة الاجتماعية:

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية التي ضمنها شوقي في شعره للأطفال، الاحتفال بمناسبة رأس السنة الميلادية، فمظاهر الاحتفال بذلك اليوم من كل عام جزء من عاداتنا الاجتماعية، فقد صور شوقي الاحتفال بتلك الليلة تصويرًا دقيقًا حين عبر عن فرحة الأطفال العارمة بهذا اليوم من كل عام وطريقتهم الخاصة في الاحتفال به، حين قال في قصيدة " لُعْبَة":

صِـــغارُ بحُلـــوان تَستَبْشِـــرُ ... ورُؤيَتُهـــا الفـــرَحُ الأكبَـــرُ
تَهُـــز اللـــواءَ بعيـــدِ المَسِـــيحِ ... وتُحيِيـــه مـــن حيـــثُ لا تَشـــعُر
فهـــذا بِلُعْبَتِـــه يَزدَهِـــي ... وهـــذا بحُلَّتِـــه يَفخَـــر
وهـــذا كغُصْـــنِ الرُّبـــا يَنْثَنـــي ... وهـــذا كـــريح الصَّـــبا يَخطِـــر[2]

فقد شبه بعضهم في فرحته بالعيد بغصن الربا الذي ينثني من شدة الفرح، والأخر بريح الصبا الخفيفة المنعشـــة، وهذا التشبيه رغم روعته إلا أنه يفوق مستوى إدراك الطفل.

مشاهد الطبيعة المتحركة:

قد وظف شوقي مفردات الطبيعة في قصائده للطفل بشكل رائع، فقد اتخذ من عناصرها (الأشجار- الطيور- الحيوانات....إلخ) تشكيلًا عالمه الشعري، فقد حرص شوقي على ربط كل عنصر من عناصر الطبيعة بدلالات معينة على حسب السياق، ومن مفردات الطبيعة في شعر شوقي للطفل (الغصن- الغدير- العصفور- البلبل- الرياض- الحمامة- الطاووس- السماء- الكوكب- النيل...إلخ).

وتظهر روعة الطبيعة في قول شوقي في حكاية " الْيَمَامَةُ وَالصَّيَّاد":

يمامـــةُ كانـــت بـــأعلى الشَّـــجره ... آمِنَـــةً فـــي عُشـــها مُسْـــتَتِره
فأقبـــلَ الصَّـــيادُ ذات يَـــومٍ ... وحـــامَ حـــوْلَ الـــرَّوضِ أَيَّ حَـــوْمِ
فلـــم يجِـــدْ للطَّيْـــر فيـــه ظِـــلاًّ ... وهـــمَّ بالرحيـــلِ حـــينَ مَـــلاَّ[3]

فعناصر الطبيعة تمثلت هنا في (اليمامة- الشجرة- الروض). ومن خلال تلك الأبيات يوجه شوقي النشء إلى عدم التسرع وضرورة التعقل، فالحمق يُهلك صاحبه دائمًا، فقد كانت اليمامة الحمقاء آمنة مطمئنة في عشها بعيدة عن عين الصياد، ولكنها حين رأته راحت تسأله عما تبحث؟، فأصبحت فريسة سهلة.

وقد حرص شوقي على ربط الأطفال بالطبيعة، ومن مظاهر الطبيعة المتحركة (الرياح) بما تحمله من خير أحيانًا وشر أحيانًا أخرى، وظهر ذلك في قصيدته " الْوَطَن" حين قال:

مَرَّ على أَيكِهما ... ريحُ سَرَى مِنَ اليَمَنْ[4]

---

[1]-الشهاوي، مجموعة " معًا نغني للأمل"، ص٥٠.
[2]- ديوان شوقي، ص ٢٣٢.
[3]- ديوان شوقي، ص ٣١٦.
[4]- ديوان شوقي، ص ٢٥٣.

ومن مشاهد الطبيعة المتحركة التي رسمها شوقي، المحاصيل الزراعية والتي تتغير بتغير الفصول الأربعة، وكذلك جريان النيل وسريانه من المنبع حتي المصب، في قصيدة " النيل" حين قال:

فَتــرَى زرعًــا يَتلــو زرعــا ... وهُنــا يُجنَــى، وهُنــا يُبْــذَر
جــارٍ ويُــرَى لــيس بجــارِ ... لأَنــاةٍ فيــه ووقــار
يَنصَــبُّ كتَــل مُنْهــارٍ ... ويَضِــجُّ فَتحسَــبُه يَــزأَر[1]

وقد حرص الشهاوي علي رسم لوحة رائعة لمشاهد الطبيعة المتحركة والمحببة لنفس الطفل، فقد رسم لوحة في غاية الجمال لتباشير الصباح وصياح الديك، فيقول في قصيدة " الْفجَرُ لَاح":

الديكُ صاحْ
الفَجْرُ لاحْ
وبَدَتْ تباشيرُ الصباحْ
يا قَوْمُ حَيَّ على الفلاحْ
وإلى الْأَمِام إلى الأمامْ[2]

ويستمر في رسمه للوحة الشروق الرائعة، وكانت محاكاته لصوت الديك وهو يصيح كل صباح ، قائلًا:

الديك صاحْ

الليل راحْ

ومضى بعيدًا آخذًا مَعَهُ الظَّلَامْ

والنورُ أشرق ... والعصافيرُ النيَامْ

الْمُلْكْ لَكْ .. لَكْ لَكْ لَكْ

والْمُلْكُ لكْ .. لَكْ لَكْ لَكْ[3]

كما رسم الشهاوي صورة رائعة لـ (أبو قردان) صديق الفلاح، وهو يؤدي دوره في تنقية الأرض من الديدان، والحشرات الضارة، فقد شبهه بالجندي الذي يحرس وطنه، فيقول في قصيدة " الأبيض الْوَدِيع":

هل يجهل الفلاحْ ... إن جاء أو قد راحْ

يوما أبو قردان؟

من خلفه يركضْ ... في ثوبه الأبيضْ

وعلى مدى اليوْم ... يسعى بلا نَوْمِ

كالحارس اليقظان

.....

يـا دائم الشُّغْلِ ... يا حارس الحقلِ

---

[1]- ديوان شوقي، ص ٢٤٨.
[2]- محمد محمد الشهاوي، ديوان " طيور وزهور"، ص ١٢.
[3]- المصدر نفسه، ص ١٢.

من سطوة الديدانْ[١]

فتلك الأبيات تكشف تأثر الشهاوي الواضح ببيئته الريفية، فالصور التي قدمها قريبة لأذهان أطفال الريف، فمنظر أبو قردان بريشه الأبيض الفتان، وهو يحرس الحقل ويحميه من الديدان يعد تصويرًا حيًا لمشاهد الريف المصري.

وتظهر روعة الطبيعة في تلك اللوحة التي رسمها الشهاوي للبلبل وهو يغرد في قصيدته " هكذا البلبل يقول":

مُغَن أنا

يُحبُّ الحيـــــاةَ .. ويَهْوَى الوجـــــــودْ

ويُبْصِرُ في كُلّ شيء جَمَالًا بغير حدودْ

ويشدو بأنغامــه لعذارى الورودْ

ويعشقُ هَمْسَ الغصونِ وشَدْوَ الشَّجَرْ

ويعزف ألحانه للنَّدَى والشّذَا والسَّنَا[٢]

كما تظهر روعة الطبيعة من خلال تلك اللوحة الرائعة التي رسمها الشهاوي بشعره لفصل الربيع، في قصيدته " الْرِبِيعُ وَوَجْهُه البَدِيع":

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالرَبِيعِ وَمَرْحَبَا

يَأتِي إلَىْ الدُنْيَا فَتَبْتَهِجُ الرُّبَى

بِجَمَالِهِ الفَتَّانِ

وَبِحُسْنِهِ الرَبَّانِي

فَهُوَ الَّذِي إنْ وَجْهُهُ هَلاَّ

فَالجَدْبُ قَدْ وَلَّى

وَالخَيرُ قَدْ حَلاَّ

أَهْلاً بِهِ أَهْلاً:

مَلِكًا عَلَى عَرْشِ البَهَاءِ تَرَبَّعَا

سُبْجَانَ مَنْ خَلَقَ الوُجُوْدَ وَأَبْدَعَا![٣]

---

[١]- المصدر نفسه، ص ٢٤.

[٢]- محمد محمد الشهاوي، ديوان " طيور وزهور"، ص ٢٠.

[٣]- محمد محمد الشهاوي، مجموعة " معًا نغني لجمال الطبيعة"، ص

وتظهر الحركة في تلك القصيدة حين قال:

والطَيرُ تَمْرَحُ فِي سُرُوْر

فَرْحَي تُحِلقُ فِي الْفَضَاءِ مَعًا مَعًا[1]

فالفعل (تحلق) دل على الحركـــة، والمعروف أن نفس الطفل طواقة لكل متحرك، فعامل الحركـــة من العوامل الجاذبة للطفل.

وتظهر مشاهد الطبيعة المتحركة من خلال قصيدة " الفراشة" حين قال:

قل: إنها الفراشة ... ألوانها بشاشة

لكل من يراها!

تطير في الفضاء ... بهية الرواء

كأنها الضياء

للرقص قد دعاها[2]

كما رسم لوحة رائعة لأسراب الطيور وجماعاتها، وهي تطير مغردة ومحلقة في الفضاء الرحب، وتلك هي الحرية التي يجب أن تتمتع بها كل الكائنات، فقد ظهرت تلك اللوحة من خلال قصيدة " ما أجمل الطيور!":

مـــــا أجمـــــل الطيـــــور ... تهـــــب فـــــي البكـــــور
فـــــــتملأ الفضـــــــاء ... بأعـــــــذب الغنـــــــاء
وتـــــــنعش القلـــــــوب ... بصـــــــوتها الطـــــــروب
وتمتـــــــع المشـــــــاعر ... وتـــــــبهج النـــــــواظر[3]

ومن المشاهد التي تطوق إليها النفس ويعشقها الجميع صغار وكبار، مشهد البحر وأمواجه المتلاطمة في فصل الصيف خاصة في شهر يوليو، فإذا بالشهاوي يصور للأطفال ذلك المشهد الرائع في قصيدته " أَيَّام الْمَصِيف" قائلًا:

مُسْتَمِتِعينَ بِكُل مَا حَوَت الطبِيعَةُ مِنْ جَمَالْ!

والْمَوْجُ يُقْبِلُ أَوْ يَئُوبْ

فِي بَهْجَةٍ تُحْيِي الْقُلُوبْ

الْبَحْرُ فِي يُولْيُو له سِحْر وأَسْرَارُ عَجَبْ

أمواجُهُ من فِضَّةٍ، ورِمَالُهُ أَنْقَى ذَهَبْ

والْمَاءُ لَيْسَ الْمَاءُ إلاَّ فَرْحَةً كُبْرَى

تَهَبُ النُّفُوسَ صَفَاءَهَا والْحُبَّ والْبِشْرا

وَتَسُرُّ كُلَّ النَّاظِرِينْ

---

[1]- المصدر نفسه، ص
[2]- المصدر نفسه، ص
[3]- المصدر نفسه، ص

بِجَمَالِهَا فِي كُل حِينْ[١]

ويرسم الشهاوي مشهدًا لتفاعل الزهور مع الطبيعة بعناصرها المختلفة من الشمس نهارًا، والقمر ليلًا، والنسيم الهادي في وقت السحر، قائلًا:

يقول لنا الزهر:

إني

كمثل جميع البشر

أحس وأشعر

وأفرح بالشمس ساطعة بالنهار

وأعشق في الليل نور القمر

وأرقص حين تداعبني لمسات النسيم

وحين تغازلني همسات السحر[٢]

ومن مشاهد الطبيعة الرائعة (منظر الغروب)، والذي ظهر في قصيدة " العصفور والخضرة والنور":

فإذا ما وَقْتُ الْمَغْرِبِ قد جاءْ

عاد الْعُصْفُور سريعًا يَطْلُبُ عُشَّهْ

لِيقضي ساعاتِ الَّلْيلِ سُبَاتًا ونُعَاسَا

عَمَلًا بكلام الله:

(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسَا)[٣]

فكل مشاهد الطبيعة المتحركـــــة التي رسمها كل من شوقي والشهاوي في شعرهما للطفل، كانت رائعـــــة وتساعد الطفل على الإحساس بالجمـــــال وتذوقه، فتنمية الحس الجمالي لدى الطفل هدف أسمى ينشده كل فنان يخاطب بفنه تلك الفئـــــة.

مشاهد الطبيعة الثابتة:

قد حرص شوقي على ربط الأطفال بالطبيعة، سواء بمظاهرها الوعرة الصعبة، أو بحسنها الخلاب ونضرتها، وظهر ذلك في قصيدته " الْوَطَن" حين وصف للطفل طبيعة بلاد الحجاز القاحلة الوعرة فقيرة الموارد قائلًا:

عُصـــــفورتانِ فـــــي الحِجـــــا ... زِ حَلّتـــــا علـــــى فـــــنَن
فـــــي خامِـــــلٍ مـــــن الريـــــا ... ضِ، لا نَـــــدٍ ولا حسَـــــن[٤]

---

[١]- محمد محمد الشهاوي، ديوان " الحب والسلام"، ص ٢٤.
[٢]- محمد محمد الشهاوي، مجموعة " معًا نغني للحياة"، ص
[٣]- محمد محمد الشهاوي، ديوان " معًا نغني للحياة"، ص ١٥.
[٤]- ديوان شوقي، ص ٢٥٣.

ثم يصور للأطفال مشهدًا مغايرًا لطبيعة اليمن النضرة الزاهية، المليئة بالخيرات ومظاهر الحضارة، من خلال قوله:

لقـــد رأيـــتُ حَـــوْلَ صَنـــ ... ـــعَاءَ، وفـــي ظـــل عَـــدَن
خمـــــــائلًا كأَنهـــــــا ... بقِيَّـــــةُ مـــــن ذِي يـــــزَن
الحَـــــبُّ فيهـــــا سُـــــكَّرُ ... والمـــــاءُ شُـــــهْدُ ولـــــبَن
لـــم يَرهـــا الطيْـــرُ ولـــم ... يَســـمَعْ بهـــا إلا افتَـــتَن[1]

ومن مشاهد الطبيعة الثابتة التي عالجها شوقي أيضًا، مشهد الغدير المهجور الذي لم تصل إليه يد الإنسان بعد، فيقول شوقي واصفًا روعته في حكاية " الْعُصْفُورُ والْغَديرُ الْمَهْجُورُ":

أَلَـــمَّ عصـــفورُ بمجـــرى صـــافِ ... قـد غـاب تحـتَ الغـابِ فـي الأَلفـاف
يَســقي الثَّــرَى مــن حيــثُ لا يــدري ... خشــيَةَ أَن يُســمَعَ عنــه، أَو يُــرَى
الثـــــــــــــــــــــــــرى ... وحَـــرَّكَ الصَّـــنيعُ مـــن لِسانـــــــهِ
فـاغتَرَفَ العصـفورُ مـن إحسانِـــــه ... ومُخجـــلَ الكـــوْثِر يـــومَ العَـــرْضِ
فقـــالَ: يـــا نـــورَ عُيـــونِ الأَرضِ ... لِيَعْـــرِف المكـــانَ والإمكانـــــا
هـــل لـــكَ فـــي أَن أُرْشِـــدَ الإنســـانا ... ويشـــكرَ الفضـــلَ كمـــا شـــكرْتُ؟
فينظُـــر الخْيـــرَ الـــذي نظـــرْتُ ... وتُنســـى النـــاسَ حـــديثَ النيـــل؟[2]
لعـــــلَّ أَن تُشـــــهرَ بالجمِيـــــل

كما رسم الشهاوي لوحة رائعة للبستان الذي يمثل أحد مشاهد الطبيعة الثابتة، حين قال في قصيدة " قلبي بستان":

قلبي بستان

مملوء بالود... وبالورد... وبالفل... والريحان

وبالخضرة[3]

فمن خلال تلك الصورة يرسم الشهاوي للأطفال الصورة التي يجب أن تكون عليها قلوبهـــم، تشبه في جمالها ورقتها البستان المليء بالورود العطرة، والذي يغرس البهجة في نفوس من ينظر إليه، فكأنه يريد أن يصبغ قلوب الأطفال بألوان الطبيعة.

الخرافات والحكايات الشعبية:

يقول د. محمد غنيمي هلال عن الخرافة" الحكايات الخرافية هي حكاية ذات طابع خلقي وتعليمي في قالبها الخاص بها، وهي تنحو منحى الرمز في معناه اللغوي العام لا مع معناه المذهبي، فالرمز معناه أن يعرض الكاتب أو الشاعر شخصيات أو حوادث على حين يريد شخصيات وحوادث أخرى عن طريق المقابلة أو المناظرة، بحيث يتتبع المرء في قراءتها الشخصيات الظاهرة وغالبًا ما تجئ على لسان الحيوان أو النبات أو الجماد، ولكنها قد تحكي على ألسنة شخصيات إنسانية تتخذ رموزًا أخرى".[4]

---

[1]- ديوان شوقي، ص ٢٥٣.
[2]- ديوان شوقي، ص ٢٦٥.
[3]- محمد محمد الشهاوي، مجموعة " معًا نغني للحياة"، ص ٩.
[4]- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ١٦٧،١٦٨.

وقد تباينت الآراء حول فكرة الاتكاء على الخرافة كمصدرًا للصورة في شعر الأطفال " ويعترض بعض المربين على استعمال القصص الخرافية للأطفال لمجرد أنها غير حقيقية، ولأنها قد تحوي أفكارًا مفزعة، على حين يرحب الكثيرون باستعمالها مع البعد عن الحوادث المخيفة، ويرون أنها وإن كانت خرافية فإنها تتضمن قسطًا وافرًا من الحقائق المتصلة بالطبيعة الإنسانية وسبل الحياة، بالإضافة إلى ما فيها من تسلية ومرح وفكاهة".[١]

قد استعان شوقي بالخرافات التي كانت متداولة بين الطبقات الشعبية، كتلك الخرافات المرتبطة بعالم الأشباح المخيف الذي كثيرًا ما يستعمل لترهيب الطفل وتخويفه، وقد ظهر ذلك في حكاية " الديك الهندي والدجاج البلدى":

حتى إذا تهلَّل الصباحُ ... واقتبست من نـــــــورِهِ الأَشباحُ[٢]

الأشباح خرافة من الخرافات الشعبية الموروثـــــة في كل عصر، وتلك الخرافة غير مستحبة لما لها من أثر سيء على نفسية الطفل، فغرس مشاعر الخوف وتحديدًا من أمـــور غير حقيقية أمر مرفوض؛ لأننا بتلك الطريقة نربي أطفال ضعفاء الشخصية.

كما اعتمد الشهاوي على الخرافة ذاتها في قصيدته " الفلاح الفصيح":

نَوْمُ الشعوبِ عن الحقوق خيانـــــــــةٌ

كُبْرى يُجَوزُهـــــا خَنًا وسِفاحْ

وغدًا سينقشع الظلامُ مُوَليًا

وتَفِرُّ إثر رحيله الأشبـــــــــاحْ[٣]

فهو يتمنى زوال ذلك الظلام الحالك الذي يسود العالم إثر استسلام الشعوب وصمتها المستمر عن حقوقها المنهوبة، فهو يتمني زوال ذلك الظلام وقد صور الأشباح أفرادًا تفر هاربة إثر انكشاف ذلك الظلام، فهو يغرس في نفس الطفل الإيجابية والسعي المستمر لنيل حقوقـــــه كاملة، وهذه الفكرة الرائعة لا تتناسب مع إدراك الطفل، بالإضافة إلى عدم مناسبة اللغة المستخدمة في تلك الأبيات لمستوى الطفل اللغوي.

التراث الأدبـــي:

قد استعان كل من شوقي والشهاوي بالتراث الأدبي في بناء قصائدهم للطفل، كمحاولة جادة منهما لربط الأطفال بتراثنا الأدبي الزاخر.

وتعد الأمثال جزءًا من تراثنا الأدبي، لذا حرص شوقي على استدعائها في قصائده للطفل، وظهر ذلك في حكاية " الشَّاةُ والْغُرَابُ" حين قال في ختامها:

فإن قَوْمي قالوا: ... وجْهُ الغُراب مَشوم[٤]

ومن الشخصيـــات المعروفة على مستوى تراثنـــا الأدبي والتي ضمنها شوقي في شعره للأطفال شخصية الشاعرين (جرير- أبا نواس)، وقد ظهر ذلك في حكاية " ولي عهد الأسد وخطبة الحمـــــار":

---

[١]- أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، مرجع سابق، ص ٤٠.
[٢]- ديوان شوقي، ص ٢٦٤.
[٣]- الشهاوي، مجموعة " معًا نغني للوطن"، ص ٤٣.
[٤]- ديوان شوقي، ص ٢٨٢.

لمَّـــا دَعَـــا داعِـــي أبـــي الأشـــبالِ ... مُبشـــــرًا بـــــأوَّلِ الأنجـــــالِ
ســـعَتْ ســـباعُ الأَرضِ والســـماءِ ... وانعقـــد المجلـــسُ للهَنـــاءِ
وصَـــدَرَ المرســـــومُ بالأَمـــانِ ... فـــي الأرضِ للقاصـــي بهـــا والـــدَّاني
فضـــاق بالـــذيُولِ صـــحنُ الـــدار ... مـــن كـــل ذي صُـــوفٍ وذي مِنقـــار
حتـــي إذا اســـتكملَتِ الجمعيَّـــهْ ... نـــادى منـــادي اللَّيـــث فـــي المَعيَّـــهْ
هـــل مـــن خطيـــبٍ محسِـــنٍ خبيـــرِ ... يدعـــو بطـــول العمـــر للأَميـــر؟
فـــنهَضَ الفيـــلُ المشـــيرُ الســـامي ... وقـــال مـــا يليـــقُ بالمقـــام
ثـــم تـــلاه الثَّعْلَـــبُ الســـفيرُ ... يُنشـــدُ، حتـــى قيـــلَ: ذا جريـــر
وانـــدفعَ القـــردُ مـــديرُ الكـــاسِ ... فقيـــلَ: أَحسـنتَ أَبـــا نُـــواسِ![1]

فتلك المباراة الشعرية التي عقدها شوقي بين الفيل والقرد والحمـــار تمثل مظهر من مظاهر تراثنا الأدبي فهي تشبه تلك التي كانت تقـــام بين الشعراء في تراثنا الأدبي ويحاول كل شاعر جاهدًا لتقديم أفضل ما عنده أمام الحضور، وفقد شبه الثعلب في بلاغته في الدعاء للأمير الصغير بجرير، بينما شبه القرد بـ (أبا نواس) لفصاحته، ومما سبق ذكره يتضح تعلق شوقي الشديد بالتراث الأدبي العربي ومحاولة ربط الطفل بهذا التراث.

وقد ظهر تأثر الشهاوي بالتراث الأدبي من خلال تأثره بشعر شوقي وقد افصح الشهاوي عن ذلك في قصيدة " مناشدة" حين قال:

فَحَقي عَلَيْكُمْ

ومِنْ كُلُّ شيء يُلوثُ طُهْرِيَ

أنْ تحفظوني

فإني كما قيل عنّي

(وَرِيدُ الحياةِ وشِريَانُهـــــــا)

وكوثر مصرٍ ... وبستانها[2]

فتشبيه النيل بالكوثر صورة أتى بها شوقي في ديوانه للأطفال، في قصيدة " النيل" حين قال:

النيلُ العَذْبُ هو الكوْثرُ ... والجنةُ شاطئُه الأَخضَرْ[3]

فتشبيه النيل بنهر الكوثر صار من التشبيهات التراثية المشهـــورة.

الأسطورة:

تختلف الأسطورة عن الخرافة في أن شخصياتها تعتمد على أمورًا خارقة للطبيعة" فهي ليست مجرد حكاية خرافية بل منهج فكري استخدمه الإنسان القديم ليعبر به عن نظرته إلى الكون: بدء الخليقة، نظام الكون، الصراع الأزلي بين الخير والشر.. فالأسطورة في منشئها حادثة أو مجموعة الأحداث التاريخية المهمة التي تحولت في مخيلة الإنسان إلى أحداث خارقة للمألوف ربطت بالدين، ومن ثم يخلع أبطالها رداءهم البشري".[4]

---

[1]- ديوان شوقي، ص ٢٧٥.
[2]- محمد محمد الشهاوي، مجموعة " معًا نغني للحياة"، ص ٣٠.
[3]- ديوان شوقي، ص ٢٤٨.
[4]- رندل كلارك، الرمز والأسطورة ترجمة أحمد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ١٩٨٨م، ص٣.

وقد لاحظت الباحثة تجنب شوقي الاتكاء على الأسطورة كمصدرًا يصوغ من خلاله صور مادته الأدبية؛ حيث أن الأسطورة تتسم بتعقيداتها الفنية وأحداثها الكثيرة المتداخلة، واتكائها على أمور غيبية وعقائدية يصعب على الطفل هضمها في تلك المرحلة العمرية.

تعرض الشهاوي لأسطورة تاريخية رائعة قدمها للأطفال بشكل مؤجز، هي أسطورة "حوريس وست" والصراع الذي دار بينهما، فقال في قصيدته " الإخلاص والخلاص":

وأَنَا ابنه البر الوفي...

"حوريس"/ مبعوثُ العنايةِ

والصُّمُودِ العَبْقَري

ومُخَلصُ الأكوانِ

من "ست" الرجيم ... ومن معه[1]

تتمحور تلك الأسطورة حول شخصية (حوريس) الطفل الناتج عن اجتماع إيزيس وأوزريس (ست)، والذي كان في بادئ الأمـــر مجرد طفل ضعيف تتولى أمه حمايته حتى أصبح منافس (ست) على العرش، وانتهي صراع ست مع حوريس على العرش بانتصار حوريس الذي أعاد النظام إلى مصر، وتكتمل تلك الأسطورة بإحياء حوريس لـ (أوزوريس) الذي قتله (ست) ليغتصب منه الحكم.

وتلك الأسطورة رغم روعة ما ترمي إليه من مضمون فهي تعبر عن الصراع الأزلي بين الشر والخير، إلا أنها لا تتناسب مع استيعاب الطفل؛ فهي تحتوي على رموز معقدة مثل البعث والإحياء.

النتائج:

١- أما عن الصور الفنية التي طرحهـــــا كل منهما في شعره للأطفال فقد جاءت مستوحاة من مصادر كثيرة (التاريخ- التراث الديني- التراث الأدبي- الخرافات والحكايات الشعبية- مشاهد الطبيعة الثابتة والمتحركة- الحياة الاجتماعية)، وقد لاحظت الباحثة الحضور الطاغي للصور المستقاه من التاريخ، مما يكشف عن حرص الشاعرين على ربط الأطفال بتاريخ بلادهم سواء بذكر المعالم التاريخية أو الشخصيات التاريخية المؤثرة، كما كشفت الصور المستوحاة من التراث الديني عن ثقافتهما الدينية الواسعة، ومحاولتهما الجادة لترسيخ تعاليم الدين في نفوس النشء، كما لوحظ تأثر كل منهما ببيئته الاجتماعية في رسم صوره الفنية في شعره للطفل، أما عن الطبيعة فقد كان لها عظيم الأثر في صورهما الفنية للطفل سواء بمشاهدها المتحركة أو الثابتة، ولم يتجاهل الشاعران الخرافات والموروثات الشعبية في شعرهما للطفل، وكذلك ظهر تأثرهما الشديد بالتراث الأدبي وحرصهما على ربط الطفل بتراثه الأدبي، أما على الجانب الأسطوري في الصور الفنية فقد انفرد به الشهاوي دون شوقي من خلال رائعته " الإخلاص والخلاص".

٢- كما لاحظت الباحثة حرص الشاعرين على تقديم الصـــورة الفنية بأنواعها المختلفة للطفل، فقد قدم كل منهما للطفل صورًا حسية وذهنية وأسطورية، كما لوحظ اهتمام شوقي والشهاوي الكبير بالصور الحسية وتحديدًا البصرية منها والسمعية؛ لأهمية الحاستين فهما حاستا الاستقبال لدى الطفل ومن خلالها يكون الطفل مفاهيمه عن عالمه الخارجي، كما اهتم شوقي بطرح الصور الرمزية بشكل فاق الشهاوي، بينما تفرد الشهاوي بصورته الأسطورية.

---

[1]- محمد محمد الشهاوي، مجموعة " معًا نغني للأمل"، ص ٢٥.

المصادر والمراجع:

المصادر:

١- أحمد محمد الحوفي، ديوان شوقي(توثيق وتبويب وشرح وتعقيب)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، القسم الثاني.
٢- محمد محمد الشهاوي، معًا نغني للأمل، مؤسسة صهيل الأدبية، ٢٠١٩م، ط١.
٣- محمد محمد الشهاوي، معًا نغني للوطن، مؤسسة صهيل الأدبية، ٢٠١٩م، ط١.
٤- محمد محمد الشهاوي، معًا نغني للحياة، مؤسسة صهيل الأدبية، ٢٠١٩م، ط١.

المراجع العربية:

١- أحمد زلط، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعتمان جلال، دار النشر للجامعات المصرية مكتبة الوفاء، الإسكندرية، ١٩٩٤م، ط١.
٢- أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١م.
٣- بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م، ط١.
٤- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢، ط٣.
5- عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨م.
6- على البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٠م،ط١.
٧- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٣م
٨- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧م.

المراجع الأجنبية:

١- رندل كلارك، الرمز والأسطورة ترجمة أحمد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ١٩٨٨م، ص٣.